الابتلاءات في طريق الدعوة إلى الله تعالى

د. حسين إسحاق داؤود يوسف^١

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الله خلق الخلق ليعبدوه ويوحده، كما دلت على ذلك الأدلة مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات " الآية ٥٦". ولما كانت العبادة من الأهمية بمكان، كان ذلك سبباً لإرسال الرسل عليهم السلام، وأنزل عليهم الكتب ليبينوا حقيقة هذه العبادة للجن والإنس التي من أجلها خلقهم الله، وتوضيح ذلك وبيانه وتفصيله، وحتى يقوموا بهذه العبادة على الوجه الأكمل.

فقاموا بها حق القيام، وأدوا ما عليهم حق الأداء، وأؤذوا في ذلك أشد الأذى، وصبروا على ذلك البلاء والأذى وتلك الشدة، أشد الصبر. وقد جعل الله الجنة رحمة وجزاء لمن قام بذلك واحتسب أجره على الله تعالى، فبها من رحمة يرجوها إخواننا ممن يرغب في الخير، وفيما عند الله من تلك الرحمة وذلك الأجر العظيم.

لذا أردت أن أشير إلى الموضوع الذي مجال البحث، وهو من جملة ما تشتمل عليه العبادة، وهي الدعوة إلى الله تعالى والابتلاءات التي تصيب أهلها، وذلك من أجل تبليغها والقيام بها، لذا كانت الدعوة إلى الله تعالى وما يتعلق بها من أمور (كالابتلاءات) التي هي موضوع البحث، إذ لا بدّ للداعية أن يتربى عليها

^١ أستاذ مساعد - كلية الدعوة الإسلامية - جامعة أم درمان الإسلامية.

ويعيها ويفقهها جيداً، وهي من أفضل الأعمال وأجلها عند الله تعالى، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ البقرة الآية ٢١٤ .

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الضَّالِّينَ﴾ آل عمران الآية ١٢٤ .

لذا كان من واجب الداعية إلى الله تعالى أن يعرف ما له وما عليه تجاه دعوته حتى لا يكثر من التخطي والتري والنكوص على الأعقاب إذا ما حدث له شيء من الإبتلاءات في سبيل دعوته. عافانا الله وإياكم في الدارين.

أسباب اختيار البحث:

١. لأن الإبتلاء سنة من سنن الله في الكون، وقد ذكر الله عز وجل سنة الإبتلاء في كتابه العزيز عدة مرات.
٢. تذكرة للدعاة في سبيل الله والقافلين عنه ممن لا يعر الاجر والثواب، والجزاء المترتب على ذلك الإبتلاء.
٣. التأسي برسول الله ﷺ، وذلك لأن الإبتلاء قد حدث للنبي ﷺ في دعوته كثيراً وقد حدث لغيره من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

أهداف البحث:

١. التعرف على الإبتلاء وأنواعه.
٢. كشف وبيان الحكمة من الإبتلاء.
٣. توضيح الاجر والثواب المترتب على الإبتلاء.

أهمية البحث:

تتبع أهمية البحث من كونه يناقش موضوع من أهم المواضيع التي ينبغي للداعية إلى الله أن يعيها ويفقهها جيداً قبل أن يسلك طريق الدعوة، وذلك ليكون لديه الصبر ولاحتساب فيما يواجهه من ابتلاءات في طريق الدعوة إلى الله تعالى.

منهج البحث:

لقد اتبع الباحث المنهج الوصفي والتاريخي، ثم التحليلي... للتوصل إلى النتائج والتوصيات التي تفيد في هذا البحث.

وقد قسمت هذا البحث إلى عدة مباحث، المبحث الأول تناولت فيه مفهوم الإبتلاءات، والمبحث الثاني تناولت فيه أنواع الإبتلاءات، وفي المبحث الثالث تناولت فيه الحكمة من الإبتلاءات، وفي المبحث الرابع تناولت فيه الأجر المترتب على الإبتلاءات.

ثم الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات والفهارس.

المبحث الأول

مفهوم الإبتلاءات

الإبتلاء لغة: ذكر صاحب الصحاح، أن البلاء - مفرد، والجمع - بلايا، وإبتلاءات، وبلاء: جربه واختبره وبابه عدا، وبلاء الله اختبره، يبلوه [بلاء] بالمد وهو يكون بالخير والشر، و [أبلاه إبتلاء] حسناً، و [إبتلاه] أيضاً^(١).
الإبتلاء شرعاً: كما جاء في تفسير قوله تعالى:

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ الصافات: "الآية ١٠٦".

وذكر المصنف رحمه الله، أن البلاء والإبتلاء: الاختبار^(٢). وذكر ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ الصافات: "الآية ١٠٦" أي الاختبار الواضح الجلي^(٣). وذكر ابن كثير أيضاً رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ الملك: "الآية ٢" [ليبلوهم] أي يختبرهم^(٤). وقد ذكر الإبتلاء في كتاب الله تعالى، سبعة وثلاثين مرة وما هذا إلا ليكون الناس على بصيرة من هذا الأمر الذي يحتاج إليه الناس في الحالة المناسبة له وخاصة الدعاء إلى الله تعالى.

والإبتلاء للأنبياء والرسل والمؤمنين سنة قائمة باقية جارية إلى يوم القيامة. قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ البقرة "الآية ٢١٤".

ويقول ﷺ فيما يرويه مصعب بن سعد^(٥) عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: "الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلأاً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلى على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة"^(٦).

فهكذا جرت سنة الله في الأنبياء والصالحين من هذه الأمة، وخاصة الدعاة إلى الله تعالى، وذلك لتمحيصهم وإعدادهم لينالوا بصبرهم وثباتهم المنزلة العالية عند الله وليرفع درجاتهم بما يصيبهم من الأذى والإبتلاء، وبما يحصل لهم من الشهادة في سبيل الله. قال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ الإنسان: "الآية ٢"، قال ابن كثير، نبتليه: نختبره^(٧). فهذا دليل على أن الله خلق الإنسان لأجل هذا الأمر حتى يتبين الذين صدقوا من الكاذبين.

وقد جاء في قوله تعالى مخاطباً عباده المؤمنين في غزوة أحد بعد الهزيمة، وذلك لما خالف بعض الصحابة رضي الله عنهم من الرماة أمر النبي ﷺ، والبعض منهم كان بسبب الغنيمة، قال تعالى: ﴿ إِن يَمَسُّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۚ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقِ الْكَافِرِينَ ﴾ آل عمران: "الآية ١٤٠-١٤١".

وهذا درب من دروب الإبتلاء وذلك لتمحيص الأنفس واختبارها ووقوفها عند مواطن الخل وتلافيها له.

وقد ورد ذكر الإبتلاء في كتاب الله تعالى سبعا وثلاثين مرة^(٨).

والإبتلاء من سنن الله القائمة بالبقية الجارية عبر التاريخ والأزمان: فما من نبي إلا وقد ابتلى وأوذي وحارب فمنهم من قتل، ومنهم من ألقى في النار، ومنهم من أخرج من أرضه، وكذلك أتباعهم، فقد نالهم من الابتلاء والأذى والقتل والتشريد والتعذيب صنوف وألوان شتى من أجل دعوتهم، فلما نجحوا في الابتلاء وثبتوا على الحق تنزل عليهم نصر الله تعالى، فأبدلهم من بعد خوفهم أمناً ومكن لهم في الأرض وجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين، كل ذلك سببه، الثبات في الدعوة

وتحمل البلاء والأذى لنشر هذا الدين والتضحية من أجله، وإعلاء كلمة الله تعالى، والنصر لهذا الدين.

ألا وإن عظم الجزاء مع عظم البلاء، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ: "إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط"^(٩).

وذكر الشارح أنه من كان إبتلاؤه أعظم فجزاؤه أعظم، ووضح معنى الإبتلاء، أي الاختبار بالمحن والرزايا [فمن رضي] بما ابتلاه به، فله الرضى من الله تعالى وجزيل الثواب [ومن سخط] بكسر الخاء أي كره بلاء الله تعالى وفزع منه ولم يرض بقضائه، فله السخط من الله تعالى وأليم العذاب، ومن يعمل سوءاً يجز به، والمقصود الحث على الصبر على البلاء بعد وقوعه لا الترغيب في طلبه للنهي عنه^(١٠).

أقول لا شك أن الداعية الذي يسلك هذا الطريق لابد له من وقفة مع نفسه كي يسألها هل تصدق مع الله، هل هي جادة في تحمل ما تلقاه من شدة وعنت وبلاء وابتلاء، أم تريد الدعة والاستكانة والخلود إلى الأرض وإتباع الهوى والتكاسل والعودة مع الخالفين.

قال الفضيل^(١١): إن الله عز وجل - ليعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالخير^(١٢).

ولقد جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنه ﷺ قال: "ومن يصبر يُصبره الله وما أعطى أحد من عطاء خيراً أوسع من الصبر"^(١٣).

المبحث الثاني

أنواع الابتلاءات

للابتلاء أنواع كثيرة جداً، يكون تارة بالأذى في الجسد كما حدث ذلك للنبي ﷺ، والصحابة وسلف هذه الأمة من العلماء العاملين حتى يومنا هذا، وتارة يكون في المال، أو في الأهل، وتارة يكون بالقول، والصحيح أن الابتلاء - نسأل الله السلامة والعافية - ربما يجمع ذلك كله وأكثر من ذلك ...

إن الابتلاء قد أصاب النبي ﷺ، وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم، وكذلك بعض الدعاة من سلف هذه الأمة حل به هذا البلاء جملة، وبعضهم قد حل به جزء من هذا البلاء، فنسأل الله السلامة والعافية.

وقد يبتلى الإنسان على قدر دينه ومقامه:

أولاً: نذكر ابتلاء نبينا محمد ﷺ - وذلك لكونه إمام الأنبياء والمرسلين، وأفضل الخلق أجمعين:

قال ابن إسحاق^(١٤): "ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تتال منه في حياة عمه أبي طالب، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف، والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل، فخرج إليهم وحده".

قال ابن إسحاق: "لما انتهى رسول الله ﷺ - إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف هم سادة ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة: وذكرهم ابن إسحاق بأسمائهم، فجلس إليهم رسول الله ﷺ، فدعاهم إلى الله، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على ما خالفه من قومه. فقال له أحدهم: هو يمرط^(١٥) ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك؟ وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك، فقام

رسول الله - ﷺ - من عندهم وقد يؤس من خبر ثقيف، وقد قال لهم فيما ذكر لي [إذ فعلتم ما فعلتم فاكتنموا عني] وكره رسول الله - ﷺ - أن يبلغ قومه عنه فيذئروهم^(١٦) ذلك عليه. فلم يفعلوا، وأغروا به سفاهم وعبيدهم يسبونهم ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، وألجأوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان تبعه، فقعد إلى ظل حبله^(١٧) من عنب فجلس فيه، وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف. وقد لقي النبي - ﷺ - فيما ذكر لي - المرأة التي من بني جمح فقال لها: "ماذا لقينا من أحمائك" فلما أطمأن الرسول ﷺ قال فيما ذكر لي:

" اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح له أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك، لك العتبى^(١٨) حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك^(١٩)، قال: فلما رآه أبناء ربيعة عتبة وشيبة وما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عداس، فقالا له: خذ قطفاً^(٢٠) من هذا العنب فضعه في الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه، ففعل عداس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ، ثم قال له: كُل، فلما وضع رسول الله ﷺ يده الشريفة قال: بسم الله، ثم أكل، فنظر عداس في وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ : "ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟" قال: نصراني وأنا رجل من أهل نينوى^(٢١)، فقال له رسول الله ﷺ : "من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟" فقال عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله ﷺ : "ذاك أخي، كان نبياً وأنا نبي" فأكب عداس على رسول الله ﷺ يُقبل رأسه ويديه وقدميه، قال: يقول ابنا

رببعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك، فلما جاءهما عداس قالاه: ويلك يا عداس!! مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي، قالاه: ويحك يا عداس!! لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه.

قال: ثم إن رسول الله - ﷺ - انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة، حين يؤس من خبر ثقيف، حتى إذا كان بنخلة قام الليل يصلي، فمر به نفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى، وهم فيما ذكر لي - سبعة نفر من الجن أهل نصيبين، فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته ولّو إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا لما سمعوا، فقص الله خبرهم عليه ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ ۚ﴾ (٢٩) قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِزَّكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ الأحقاف: "الآية ٢٩-٣٢".

وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۚ﴾ الجن: "الآية ١"؛ إلى آخر القصة من السورة نفسها^(٢٢)، فهذا نوع من أنواع الأذى والإبتلاء الذي لقيه النبي ﷺ في دعوته.

قال ابن إسحاق: وكان النفر الذين يؤذون رسول الله - ﷺ - في بيته: أبو لهب، والحكم بن العاص بن أمية، وعقبة بن أبي معيط، وعدي بن حمراء الثقفي، وابن الأصداء الهذلي، وكانوا جيرانه، ولم يسلم منهم أحداً إلا الحكم بن أبي العاص؛ وكان أحدهم - فيما ذكر لي - يطرح عليه ﷺ رحم الشاة وهو يصلي،

وكان يطرحها في برمته^(٢٣) إذا نصبت له، حتى اتخذ رسول الله ﷺ حجراً يستتر به منهم إذا صلى؛ فكان رسول الله ﷺ إذا طرحوا عليه ذلك الأذى يخرج به رسول الله ﷺ على العود، فيقف به على بابه ثم يقول: "يا بني عبدمناف، أي جوارٍ هذا؟" ثم يلقيه في الطريق^(٢٤).

وهذا أيضاً نوع آخر من أنواع الأذى والابتلاء للرسول ﷺ. قال ابن إسحاق رحمه الله: فذكر لي أن أم جميل حمالة الحطب - حين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن - أتت رسول الله ﷺ - وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبوبكر الصديق رضي الله عنه، وفي يدها فهر^(٢٥) من الحجارة فلما وقفت عليها أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ، فلا ترى إلا أبابكر رضي الله عنه، فقالت: يا أبابكر، أين صاحبك؟ فقد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما والله إني لشاعرة، ثم قالت: مذمماً عصينا * وأمره أبينا * ودينه قلينا^(٢٦). ثم انصرفت، فقال أبوبكر: يا رسول الله، أما رأيتك؟ " فقال ما رأيتي، لقد أخذ الله ببصرها عني".

قال ابن هشام: وكانت قريش إنما تسمي رسول الله ﷺ - مذمماً، ثم يسبون، فكان رسول الله ﷺ - يقول: " ألا تعجبون لما صرف الله عني من أذى قريش، يسبون ويهجون مذمماً وأنا محمد"^(٢٧).

وهذا أيضاً نوع آخر من أنواع الابتلاء والأذى لرسول الله ﷺ. وأمّية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، كان إذا رأى رسول الله ﷺ -، همزه ولمزه، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾^(١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ. ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾^(٢) كَلَّا لَيُبَدِّلَنَّا فِي الْخُطْمَةِ^(٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخُطْمَةُ^(٤) نَارُ اللَّهِ الْمَوْفِدَةُ^(٥) الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ^(٦) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ^(٧) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴿الهمزة "الآية ١-٩".

قال ابن هشام: والهمزة: الذي يشتم الرجل علانية، ويكسر عينه عليه، ويغمز به^(٢٨).

وهذا أيضاً نوعاً آخر من أنواع الإبتلاء والأذى لرسول الله ﷺ.

ثانياً: نذكر بعضاً من ابتلاء الأنبياء عليهم السلام وخاصة أولي العزم منهم:

والقرآن الكريم يحدثنا عما أصاب الأنبياء والمرسلين من الأذى والابتلاء والاضطهاد.

فنوح عليه السلام: تحمل الأذى والإبتلاء تسعمائة وخمسين عاماً من قومه، وهم يذبحونه، ويقولون له مجنون ويمرون عليه وهو يصنع الفلك فيسخرهم منه ويستهزئون به، فلما ضاق بهم ذرعاً، وبلغ السيل الزبى دعا ربه قال تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ القمر: "الآية ١٠" وقال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (٦١) إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿نوح: "الآية ٢٦-٢٧" فاستجاب له ربه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ (٧٥) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿الصافات: الآية ٧٥-٧٦.

وإبراهيم عليه السلام: أُلقي في النار، فقال تعالى للنار: ﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ الأنبياء: "الآية ٦٩-٧٠".

وموسى عليه السلام: قد ابتلي وأوذي إيذاءً شديداً، فقال الله تعالى فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ الأحزاب: "الآية ٦٩".

وعيسى عليه السلام: تأمروا عليه ليقتلوه أو يصلبوه، قال تعالى: ﴿وَمَا قُلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ النساء: "الآية ١٥٧".
ولذلك فقد جاء قوله تعالى مسلماً لرسوله ﷺ في هذه الآية بقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ الأحقاف: "الآية ٣٥".

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ الذاريات: "الآية ٥٣-٢٥".

ثالثاً: نذكر بعض الصور من الإبتلاءات التي تعرض لها الصحابة رضي الله عنهم:

المشهد الأول: بلال بن رباح رضي الله عنه:

كان يعذبه أمية بن خلف على توحيده وإيمانه بالله تعالى واستجابته لدعوة الحق لنبينا محمد ﷺ ، فكان أمية يخرج ببلال إذا حميت الشمس في الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ﷺ ، وتعد اللات والعزة، فيقول بلال وهو في هذا البلاء: أحد أحد، فمر به أبوبكر رضي الله عنه فاشتراه. وهذه الكلمة هي التي زعزت كيان أمية بن خلف^(٢٩).

المشهد الثاني: من مشاهد الإبتلاء التي تعرض لها الصحابة رضي الله عنهم:

آل ياسر رضي الله عنهم جميعاً، وهم: عمار بن ياسر، وأبوه ياسر، وأمه سمية:

كانوا يعذبون أشد العذاب من أجل إيمانهم بالله تعالى، فلم يزدتهم ذلك العذاب عن دينهم شيئاً، وذلك لأنهم صدقوا الله فصدقهم الله تعالى، ولهذا قال لهم

رسول الله ﷺ: " صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة" (٣٠) فرضي الله عنهم وأرضاهم (٣١).

المشهد الثالث: من مشاهد الإبتلاء والأذى:

عبدالله بن حذافة بن قيس رضي الله عنه:

عندما حاول ملك الروم أن يصدّه عن دينه - يرى الداعية الموقف الحكيم، والرجل العظيم! حينما وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه - جيشاً إلى الروم، فأسروا عبدالله بن حذافة، فذهبوا به إلى ملكهم، فقالوا: إن هذا من أصحاب محمد ﷺ - فقالوا: هل لك أن تتنصر وأعطيك نصف ملكي؟ قال: لو أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ملك العرب، ما رجعت عن دين محمد ﷺ طرفة عين، قال: إذا أقتلك.

قال: أنت وذاك، فأمر به فصلب وقال للرماة أرموه قريباً من بدنه، وهو يعرض عليه ويأبى ولم يجزع، فأنزله. وأمر بقدر فصب فيه ماء وأغلي عليه حتى احترقت، ودعا بأسيرين من المسلمين فأمر بأحدهما، فألقي فيها فإذا عظامه تلوح، فأمر بالثاني، فألقي فيها فإذا عظامه تلوح، وهو يعرض عليه النصرانية وهو يأبى، فأمر بإلقائه في القدر إن لم يتنصر، فلما ذهبوا به بكى، فقيل للملك إنه يبكي، فظن أنه جزع، فقال: ردوه، فقال: ما أبكاك؟ قال: قلت هي نفس واحدة تلقى الساعة فتذهب، فكنت أشتهي أن تكون بعدد شعري أنفس تلقى في النار في الله تعالى، فتعجب الطاغية، فقال له: هل لك أن تقبل رأسي وأخلي عنك؟ فقال عبدالله: وعن جميع أسارى المسلمين؟ قال: نعم، فقبل رأسه فخلى عنهم، وقدم بالأسرى على عمر رضي الله عنه، فأخبره خبره، فقال عمر: حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبدالله بن حذافة، وأنا ابدأ. فقبل رأسه (٣٢)؛ وقد قيل:

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت * ويبتلى بعض القوم بالنعم (٣٣)؛

المبحث الثالث

الحكمة من الإبتلاءات

لاشك أن الإبتلاء يكون أحياناً تمحيصاً، وقد سبق لنا ذكر ذلك، وأحياناً يكون لأجل رفع منزلة ودرجة صاحبه في عليين في الجنة، كما جاء في الحديث، عن إبراهيم بن مهدي السلمي، عن أبيه، عن جده^(٣٤)، وكانت له صحبة مع رسول الله - ﷺ - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: "إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده، أو في ماله، أو في ولده" قال أبوداؤد: زاد ابن نفيل "ثم صبر على ذلك" ثم اتفقا "حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله تعالى^(٣٥).

وأحياناً يكون من أمر الله المقدر على عباده كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ الأنبياء: "الآية ٣٥".

وكما جاء في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا الفرقان: "الآية ٢٠".

وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ الملك: "الآية ٢".

وقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ الإنسان: "الآية ٢".

وقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ محمد: الآية ٣١.

وقوله: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ آل عمران: "الآية ١٨٦".
ويكون الابتلاء أحياناً بسبب المعاصي والذنوب، نسأل الله السلامة والعافية، كما جاء في قوله تعالى:

﴿أَوَلَمَّْا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أِنَّا هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ آل عمران: "الآية ١٦٥".
وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ الشورى: "الآية ٣٠".

وهكذا يكون الابتلاء حسب ما تقتضيه حكمته تعالى لما يتناسب مع مراتب البشر وحسب أحوالهم.

ولنذكر مثلاً واحداً لسحرة فرعون المؤمنين، وسبب ما حل بهم من البلاء والتعذيب والتقتيل، وكيف ثبتوا على إيمانهم: قال تعالى: ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَيْنِ ۖ قَالَُوا ءَأَمْنَا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ الأعراف: "الآية ١٢٠-١٢٢".

السحرة الذين عرفوا الحق فآمنوا وصدقوا به، هم أكثر من لقي صنوفاً من الابتلاء من أول وهلة من دخولهم هذا الدين والإيمان بالله وإتباع موسى عليه السلام، ولم يكن عند هؤلاء ما يتصبرون به من إيمان بالله تعالى، هم سحرة فرعون بعد أن كانوا سحرة بالأمس كفاراً يعملون للطاغية فرعون وسحرة كفاراً لا إيمان ولا إسلام، فبعد أن آمن بالله عليهم بالدخول في هذا الدين وآمنوا برب العالمين، ابتلاهم الله بهذا الطاغية إمام أهل النار، عدو الله المتكبر...، قاتله الله هو وأمثاله الذي أعلن الحرب على ربه وحارب وعادى أنبياءه، وعذب أوليائه، وهم

[هؤلاء السحرة الذين كانوا معه بالأمس الذي تحداهم وقبل أن يتحداهم تحدي الله رب العالمين بإدعائه الربوبية] بأن قال، كما أخبر الله تعالى عنه في كتابه العزيز: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ النازعات: "الآية ٢٤".

وسبق له أن تحدى موسى عليه السلام بأن قال له، كما أخبر تعالى عنه: ﴿قَالَ لَئِنْ أَخَذْتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ الشعراء: ٢٩.

وبقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ أَبْنِي صَرَخًا لَعَلِّي الْأَسْبَدُ﴾ (٣١) **أَسْبَدَ السَّمَوَاتِ فَاطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ** غافر: "الآية ٣٦-٣٧".

وهكذا يأتي البلاء للدعاة أحياناً لتمحيصهم، أو لمحبة الله لهم جل جلاله، أو بما عندهم من قوة الإيمان، فهو سبحانه لم يبتلي الأنبياء إلا لسبب محبته لهم ولقوة إيمانهم.

كما جاء في الحديث عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: " وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم" (٣٦). وقال تعالى: ﴿الْمَ (١) أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامِنًا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ العنكبوت: الآية ١-٣.

ذكر أهل التفسير رحمهم الله في تفسير هذه الآية أن هنالك استفهام إنكار، ومعناه أن الله سبحانه وتعالى يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان، كما جاء في الحديث الصحيح " أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، ويبتلي الرجل على قدر دينه فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء ... " (٣٧).

فهذا دليل على ابتلاء العباد حتى يميز الله الخبيث من الطيب، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ...﴾ آل عمران: "الآية ١٧٩".
والدعاة إلى الله هم صفوة المؤمنين وخاصة هذه الأمة، فلا بدّ لهم من التمحيص والابتلاء حتى يثبتوا على الطريق ويصدقوا مع الله تعالى في دعوتهم.

المبحث الرابع الصبر على الابتلاءات

تعريف الصبر:

الصبر لغة: حبس النفس عن الجزع وبابه ضرب و[صَبْرُهُ] حبسه، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...﴾ الكهف: "الآية ٢٨".

وفي حديث النبي ﷺ - عن رجل أمسك رجلاً وقتله آخر قال ﷺ " اقتلوا القتاتل، واصبروا الصابر " (٣٨) أي احبسوا الذي حبسه للموت حتى يموت.

الصبر شرعاً: حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش. وقيل: الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب. وقيل هو الفناء في البلوى، بلا ظهور ولا شكوى. وقيل هو تعويد النفس الهجوم على المكاره. وقيل هو المقام مع البلاء بحسن الصحبة، كالمقام مع العافية.

وقيل: الصبر صبران؛ [فصبر عند المصيبة حسن جميل، والصبر على ما حرم الله] (٣٩). وقيل هو الثبات مع الله، وتلقي بلاءه بالرحب والسعة. وقد ذكر الله تعالى الصبر في القرآن الكريم في ثلاثة وتسعين موضعاً (٤٠)، وأضاف إليه أكثر الخيرات والدرجات وجعلها ثمرة له.

والصبر ثلاثة أنواع:

- ١- صبر على طاعة الله.
 - ٢- صبر على معصية الله.
 - ٣- صبر على امتحان الله [الابتلاءات].
- وهذا الأخير هو موضوع بحثنا.

وهنا وقفة لابدّ منها وهي من الأهمية بمكان، والدعاة إلى الله تعالى في حاجة ماسة لها، ألا وهي:

يتعرض الدعاة إلى الله إلى معارضة ومجادلة، وصدّ وجحود، ومنع من أدائهم وقيامهم بواجبهم الدعوي. وأمام ضغوط الواقع القائم اليوم، والعقبات والمحن التي تأتيهم من حيث لم يحتسبوا، وما لم يكن في بالهم وخاطرهم، ففي مثل هذه الأمور، يحتاج الداعية إلى صبر، أقول بل يحتاج إلى الصبر الجميل؛ كما جاء عن يعقوب عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ يوسف: "الآية ١٨"، حينما ابتلي في ولده يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

إن المؤمن الحق، يعلم أن الصبر قوة نفسية إيجابية فعالة ... تدفع المتحلي به إلى مقاومة كل أسباب الخور، والضعف، والاستكانة، والاستسلام، والانهازية المقيتة ... وتحمله على الصمود والثبات أمام الفتن والمغريات، وأمام المحن والمكاره والأحداث ... إلى أن يأذن الله بالنصر، أو أن يلقي الله عز وجل وهو عنه راض ...

وعلى الداعية حين يبلغ دعوة الله أن يضع في حسابه هذه

الإبتلاءات:

١. الاتهامات الكاذبة، والأقاويل الباطلة للحط من شأنه، والتقليل من مكانه واعتباره.

٢. السجن والاعتقال والتعذيب ... وكل اعتداء يمسّه مادياً ويصيبه جسدياً ...

٣. إخراجهم من وظائفهم، ومصادرة أملاكهم، واقتطاع كسبه ورزقه.

٤. تهجيرهم من بلده، ومفارقته لأهله وأولاده، وابتعاده عن أصدقائه وأحبابه.

٥. إغراؤه بالمنصب والوظيفة، وفتنته بالمال والجاه، وإغواؤه بالجنس والنساء وقد يلبس هذا الإغواء ثوب الزواج في كثير من الأحيان.

٦. وأخيراً أن يضع في حسبانته الاستشهاد والشهادة في سبيل الله والدعوة إليه تبارك وتعالى.

فحين يضع الداعية نصب عينيه كل هذه الاحتمالات وغيرها من ضروب الأذى والاضطهاد والشدة ... فلا يجد في سبيل ما يلقاه من محنة وابتلاء أيّ حرج أو غضاظة أو بأس أو انهزامية ... لأن من طبيعة الدعاة الصادقين، والعلماء المخلصين .. أن يتعرضوا لأنواع الأذى والإبتلاءات، وضروب الاضطهاد .. وحسبهم في ذلك: قدوتهم وقائد دعوتهم، ورائد رسالتهم محمد بن عبدالله ﷺ !!!.

فإنه ﷺ ، أعطى الدعاة إلى الله تعالى في كل زمان ومكان القدوة العملية في الصبر والاحتمال، والأسوة الحسنة في الصمود والثبات ... فإن المشركين في مكة سلكوا مع النبي - ﷺ - مسالك شتى في الأذى، وأساليب متنوعة في الاضطهاد .. ليصدوه عن دعوته، ويثبوه عن أداء رسالته، فما استكان ولا تأثر صلوات الله وسلامه عليه.

المبحث الخامس

الأجر المترتب على الابتلاءات

اعلم أخي المسلم أن عاقبة البلاء حميدة للمؤمن، وعائدة عليه بالخير، كما قال تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْتَخِرُونَ﴾ البقرة: "الآية ١٥٥-١٥٧".

وقال تعالى:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوًا أَخْبَارَكُمْ﴾ محمد: "الآية ٣١".

ذكر الشوكاني رحمه الله في تفسيره: أي لنعاملكم معاملة المختبر، وذلك بأن نأمركم بالجهاد حتى نعلم من امتثل الأمر بالجهاد وصبر على دينه ومشاق ما كلف به^(٤١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه، وولده، وماله، حتى يلقي الله تعالى، وما عليه خطيئة"^(٤٢). وعنه رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "ما يصيب العبد من نصب، ولا وصب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياها"^(٤٣).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "ما من مصيبة تصيب المسلم، إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها"^(٤٤).

ألا وأن الإبتلاء دليل على محبة الله لعبده:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة" ^(٤٥).

وعنه أيضاً رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: "إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط" ^(٤٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مثل المؤمن كمثل الخامة" ^(٤٧) من الزرع: من حيث أتنها الريح كفأتها، فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء. والفاجر كالأرزة" ^(٤٨) صماء معتدلة، حتى يقصها الله إذا شاء" ^(٤٩).

الخاتمة:

أولاً: النتائج:

- ١- الإبتلاء في الدعوة إلى الله تعالى، سنة جارية باقية، ولا بد لها أن تجري بين العباد المجرى الطبيعي، فلا يجزع ولا يهلع لذلك الدعاة.
- ٢- الإبتلاء يكون بالخير والشر، فكان من الواجب شكراً لله تعالى حين نزول الأولى، والصبر الصبر عند حلول الثانية.
- ٣- الدعوة إلى الله تعالى محفوفة بالشدائد والمحن والمكاره.
- ٤- إن الإبتلاء ليس حياة أبدية سرمدية، ولكنه سحابة سرعان ما تنقشع وتذهب، وذلك ليميز الله الخبيث من الطيب، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين
- ٥- إن بلوغ الغايات، والوصول إلى النهايات، لا بد له من تكبد المصائب والمتاعب والإبتلاءات، ولا بد له من حصول العقبات ونزول الملمات.
- ٦- عدم الاستعجال لثمار ونتائج الدعوة، فإن عواقبه لا تأتي بخير، وإنه آفة ومرض يفتك بالدعاة.

ثانياً: التوصيات:

- ١- أوصي نفسي وإخواني الدعاة إلى الله تعالى بالإخلاص في القول والعمل، والتقوى في السر والعلن، فهي وصية الله تعالى للأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ النساء: "الآية ١٣١".
- ٢- وأوصي الدعاة إلى الله تعالى بالإلتزام بالثبات على أمر الله تعالى، والصبر على المكاره، والتضحية وبذل النفس والنفيس من أجل الدعوة إلى الله تعالى، ولا يكن ذلك إلا بالصدق مع الله تعالى في الأقوال والأعمال، والعمل بالأدلة الصحيحة من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ.

٣- على الدعاة أن يعزموا كل العزم على المضي قدماً لما أمرهم الله به من الصبر والاحتساب عند الابتلاء والأذى في سبيل ذلك.
لا بد للدعاة أن يعرفوا تلك الابتلاءات تمام المعرفة، فيتجاوزوا تلك المحن، ويصبروا على ما فيها من الشدائد والمكاره.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

هوامش البحث :

- (١) مختار الصحاح للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: ص ٢٦.
- (٢) فتح القدير للشيخ الإمام المجتهد محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، ٢١٧/٥.
- (٣) تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ، ١٧/٤.
- (٤) المصدر نفسه: ٣٩٦/٤.
- (٥) مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري، أبو زرارة، ثقة، من الثالثة، مات سنة (١٠٣هـ)، رضي الله عنهما. انظر تقريب التهذيب ٥٣٣/١.
- (٦) الحديث رواه الترمذي: ٢٨/٤، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، وقال: حديث حسن صحيح. رواه ابن ماجه برقم: ٤٠٢٣. والدارمي ٣٢٠/٢. والحاكم ٤٠/١. وأحمد ١٧٢/١. واللفظ للترمذي.
- (٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٥٣/٤.
- (٨) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي: ص ١٣٥-١٣٧.
- (٩) الحديث رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب في الصبر على البلاء، حديث: ٢٣٧٨.
- (١٠) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي: ٦٥/٧، ٦٦.
- (١١) الفضيل هو ابن عياض إمام التابعين رحمة الله عليه.
- (١٢) الإحياء، لأبي حامد الغزالي: ١٣٩/٤.
- (١٣) مسند أحمد بن حنبل، ومن مسند بني هاشم، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه - حديث: ١١٢٢٦.
- (١٤) ابن إسحاق: هو عبدالله محمد بن إسحاق بن يسر بن خيار، المؤلف الثبت المتقن مات سنة (١٥٠هـ)، انظر: النجوم الزاهرة ١٦/٢.
- (١٥) يمرط: أي يمزق. انظر: لسان العرب باب مرط، دار صادر بيروت ط ١: ٣٩٩/٧.
- (١٦) يذئهم: أي يحرش بينهم. أنظر لسان العرب، مرجع سابق.
- (١٧) الحبله: ضرب من العنب بالطائف بيضاء محددة الأطراف متداحضة العناقيد، انظر: لسان العرب: ١١/١٣٨، مرجع سابق.

- (١٨) العتبي: الرضى. أنظر: لسان العرب باب عتب، ١/ ٥٧٦. مرجع سابق.
- (١٩) الحديث ذكره العلامة المحدث محمد بن ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى في ضعيف الجامع الصغير بإسناد ضعيف وزيادته (الفتح الكبير)، ١/ ٣٥٩، برقم: ٢٩٣٣، (سلسلة الأحاديث الضعيفة).
- (٢٠) القطف: اسم للعنقود.
- (٢١) نينوى: اسم قرية معروفة بحذاء كربلاء، انظر: لسان العرب، ابن منظور الأفرقي المصري، ١٣/ ٤٣٠. وذكر ابن هشام بقوله، قال أبو ذر "ورويت هاهنا بضم النون الثانية ويفتحها أشهر هكذا ذكرها ابن هشام في سيرته".
- (٢٢) السيرة النبوية، لابن هشام: هو أبو محمد عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري المشهور بحمل العلم وروايته، المتقدم في علم النحو والنسب البصري المصري، مات سنة ٢١٨هـ. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ٣٦٥.
- (٢٣) البرمة: بضم فسكون، القدر مطلقاً، وهي في الأصل التي تتخذ من الحجر المعروف بالحجاز واليمن، انظر: النهاية في غريب الحديث: ١/ ١٢١.
- (٢٤) السيرة النبوية، لابن هشام، ٢/ ٢٥.
- (٢٥) الفهر: بكسر فسكون، حجر على مقدار ملئ الكف، النهاية في غريب الحديث: ٣/ ٤٨١.
- (٢٦) قلينا: أبغضنا، انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، مصدر سابق.
- (٢٧) السيرة النبوية، لابن هشام، ١/ ٣٧٨، ٣٧٩.
- (٢٨) السيرة النبوية، لابن هشام، مصدر سابق.
- (٢٩) السيرة النبوية، لابن هشام ١/ ٣٤٠.
- (٣٠) الحديث رواه الحاكم وصححه الذهبي ووافقه ٣/ ٣٨٨، وانظر: مجمع الزوائد ٩/ ٢٩٣.
- (٣١) انظر: سير أعلام النبلاء: للذهبي ١/ ٤٠٦، والإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٥١٢.
- (٣٢) انظر: سير أعلام النبلاء: للذهبي ٢/ ١٤، والإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٢٦٩.
- (٣٣) انظر: الفتاوى: للإمام ابن تيمية: ١٤/ ٣٠٥.
- (٣٤) لجلاج العامري الدمشقي الصحابي رضي الله عنه، روى له البخاري في الأدب المفرد، والترمذي، والنسائي، وأبو داؤود، التقريب: ١/ ٤٦٤.

- (٣٥) الحديث رواه أبو داؤود بسند صحيح. باب ما جاء في الصبر على البلاء، سبق ذكره.
- (٣٦) الحديث رواه الترمذي بسند حسن: ٢٧/٤.
- (٣٧) الحديث رواه الترمذي ٦٠١/٤، كتاب الزهد، وقال حديث حسن صحيح. باب ما جاء في الصبر على البلاء، سبق ذكره.
- (٣٨) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب النفقات، باب الرجل يحبس الرجل للآخر فيقتله، حديث: ١٤٩٣٠.
- (٣٩) مدارج السالكين، للإمام ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى: ١٦٢/٢ - ١٦٥، (بتصرف).
- (٤٠) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن / لمحمد فؤاد عبد الباقي، ص ٣٩٩ - ٤٠٠.
- (٤١) فتح القدير / للشوكاني / ٤٠/٥.
- (٤٢) الحديث رواه الترمذي، كتاب الذبائح، باب ما جاء في الصبر على البلاء، حديث: ٢٣٨١.
- (٤٣) الحديث رواه البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، حديث: ٥٣٢٥.
- (٤٤) الحديث رواه البخاري، نفس المصدر السابق.
- (٤٥) الحديث رواه الترمذي، كتاب الذبائح، باب ما جاء في الصبر على البلاء حديث: ٢٣٧٧.
- (٤٦) الحديث رواه الترمذي، حديث رقم ٢٣٨١، سبق تخريجه.
- (٤٧) الخامة: الغضة الرطبة من النبات، انظر: ابن منظور، لسان العرب ١٩٢/١٢.
- (٤٨) الأرز: بسكون الراء شجرة الصنوبر، مختار الصحاح: ص ٩.
- (٤٩) الحديث رواه البخاري: كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، حديث: ٥٣٢٨.

المصادر والمراجع:

- الرقم
١. القرآن الكريم.
 ٢. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت، ٨٥٢هـ)، الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ، دار صادر، بيروت.
 ٣. البداية والنهاية، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير، (ت، ٧٧٤هـ) الطبعة الثالثة، ٩٧٩م، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان.
 ٤. تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، لأبي العلي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبارك فوري، (ت، ١٣٥٣هـ)، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
 ٥. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، (ت، ٧٧٤هـ)، الطبعة ١٤٠٧هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان.
 ٦. حياة الصحابة، للشيخ محمد يوسف الكاند هلوي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، دار القلم، دمشق.
 ٧. الرحيق المختوم، صفي الرحمن المبارك فوري، الطبعة ١٣٩٦هـ، مكتبة دار السلام، الرياض.
 ٨. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد بن ناصر الدين الألباني، (ت، ١٤٢٠هـ)، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ - المكتب الإسلامي .
 ٩. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، (ت، ٢٧٥هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بدون تاريخ، دار الفكر.
 ١٠. سنن النسائي، أحمد بن شعيب، (ت، ٣٠٣هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

١١. سنن الترمذي، أبي عيسى بن سورة، (ت، ٢٧٩هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ، شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.
١٢. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، (ت، ٢٧٥هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بدون تاريخ، دار إحياء التراث العربي.
١٣. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (ت، ٧٤٦هـ)، الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
١٤. سيرة النبي ﷺ، لأبي محمد عبد الملك بن هشام، (ت، ٢١٣هـ)، راجعه وضبطه محي الدين عبد الحميد، بدون تاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٥. سلسلة الأحاديث الضعيفة، محمد بن ناصر الدين الألباني، (ت، ١٤٢٠هـ)، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ، المكتب الإسلامي.
١٦. صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، (ت، ٢٥٦هـ)، مطبعة دار ابن كثير، اليمامة، مراجعة د. مصطفى ديب البغا، ١٤٠٧هـ.
١٧. صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، (ت، ٢٦١هـ)، مراجعة محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة ١٣٧٤هـ.
١٨. الصبر وأثره في حياة المسلم، الشيخ عبدالله بن جار الله الجار الله.
١٩. فتح القدير، لمحمد بن علي الشوكاني، (ت، ١٢٥٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٠. فقه السيرة، محمد الغزالي، مصر، القاهرة، دار النهضة، الطبعة ٧، ١٩٧٦م.

٢١. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، (ت، ٧١١هـ).
٢٢. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، (ت، ٧٢١هـ)، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة ١٩٨٨م.
٢٣. مدارج السالكين، لابن القيم، (ت، ٧٥١هـ)، تحقيق محمد حامد الفقهري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.
٢٤. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، مصر، طبعة ١٤٠٧هـ.
٢٥. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن أثير الجوزي، (ت، ٦٠٦هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ.